لجنة نشر المؤلفات التيمورية

الآثار النبوية

بقلم

العلامة المحقق المغفور له

أحمد تيمور باشا

وهي البحوث التاريخية النفيسة التي حققها
الفقيد الكريم واختتم بها حياته الطيبة المباركة

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥١ م
١٣٧٠ هـ

العلامة المحقق المرحوم احمد تيمور باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة اللجنة

دأبت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » على البحث عن شتى المؤلفات الخطية وغير الخطية من آثار المغفور له العلامة المحقق « أحمد تيمور باشا » توطئة لتقرير ما تراه بشأن طبعها .

وقد اجتمعت كلمة اللجنة برياسة سعادة الشيخ المحترم العالم «خليل ثابت بك» — والبلاد مقبلة على موسم الحج والزيارة — عَلَى أن تقدم للطبع كتاب « الآثار النبوية الشريفة » على سائر ما لدى اللجنة من المؤلفات التيمورية الكثيرة المشار إليها .

وقد بادرت إدارة اللجنة إلى تنفيذ هذه الرغبة الكريمة فى طبع هذا الكتاب ونشره . وهو ولا شك كتاب فريد فى أسلوبه ، حافل ببحوث شتى فى آثار الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه .

وبهذه المناسبة نذكر أن الفقيد العلامة « أحمد تيمور باشا » نشر فى حياته جانباً من هذه البحوث النفيسة فى « مجلة الهداية الإسلامية » وتولى بنفسه بعد ذلك إدخال بعض الإصلاحات على النسخه المطبوعة ،

وزاد فى تعليقاته فى بعض المواضع ، وأضاف إلى ما كتب من قبل جديداً من بحثه واطلاعه .

وقد راجعت اللجنة تصحيحات الفقيد لأصول البحوث ، وأضافت إليها ما عثرت عليه من تعليقاته وملاحظاته التى كانت مبعثرة هنا وهناك من تراثه النفيس الذى تسلمته اللجنة ، حتى استكمل هذا المؤلف شتى جزئياته وكلياته ، وبدا اليوم كاملاً شاملاً رائعاً سهل العبارة غزير المادة ، شأن جميع المؤلفات التيمورية التى عنيت اللجنة بنشرها تباعاً ، فلقيت من جمهور القراء فى مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية تقديراً وإقبالاً ، مما شجعها عَلَى مواصلة جهادها فى سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة فى مصر وشتى أنحاء العالم العربى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هذا المؤلف هو آخر البحوث النفيسة التى اختتم بها الفقيد العظيم حياته الطيبة المباركة ، تقرباً إلى الله ، وإعلاء لشأن الدّين ، وخدمة للعلم والتاريخ . وقد بلغ الفقيد غايته ، وأدَّى رسالته ؛ رحمه الله وأجزل مثوبته .

مقدمة

لم أقصد ببحثى هذا سرد ما دُوّن عن الآثار الشريفة التى اختصّ بها محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وخلّفها بعد انتقاله إلى الرّفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها ، فإن فى كتب السيرة من بيان ذلك ما يغنى عن التحدّث به إلى القراء ، وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها ، لأبين ما حققه العلماء عنها . وسأبدأ بالقضيب والبردة لاشتهارهما فى الخلافة العباسية . ولله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدى حيث قال فيما صح من هذه الآثار :

أكرِم بآثار النبىّ محمـــد ... من زاره استوفى السرورَ مَزارُه
يا عين دونك فانظرى وتمتعى ... إن لم تَرَيْهِ فهـذه آثاره

واقتدى به جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقى فقال :

يا عين إن بعـد الحبيب وَداره ... وَنأت مرابعـه وَشـطّ مزاره
فلقد ظفرت من الزّمانِ بطائل ... إن لم تريه فهـــذه آثاره

القضيب والبردة

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة فى الدولة العباسية ، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية فى دول المغرب ، والمظلة فى الدولة الفاطمية على ما يقول « ابن خلدون »[1] . غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة أثرية كالشارة العباسية ، ولا سيما فى شرف النسبة إلى المقام النبوى الكريم ، وإنما كانت آلات محدَثة فى تلك الدول ، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع .

أما القضيب فالمروىّ فى كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شَوْحَط يسمى الممشوق ، قيل : وهو الذى كان الخلفاء يتداولونه . قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما القضيب فهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى صدقة ، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة » . وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة فى المواكب[2] ، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم فى المواكب

---

(١) المراد هنا بالخاتم حلية الإصبع المعروفة ، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بفصوص الجواهر واليواقيت ويلبسه السلطان شارة فى عرفهم . أما المظلة فلم ينفرد بها الفاطميون ، بل كان يشاركهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالمشرق كبنى سلجوق وغيرهم تقليداً لملوك الصين ، وإنما اشتهر الفاطميون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفاً وترصيعا .

(٢) كان من آلات المواكب فى الخلافة الفاطمية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك وقال إنه « عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر =

جلوساً وركوباً . قال ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية : « كان الخليفة يلبسها يوم العيد عَلَى كتفيه ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم فى إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهر الأبصار » اهـ . وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة ، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذى يبردونه . وما زالت الشعراء تذكرهما فى مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض دولتهم من العراق تنويهاً بانفرادهم عن سائر الدوَل بهذه المنقبة ، كقول البحترى من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر :

أُيِّدْتَ من فصل الخطاب بحكمة ... تُنبى عن الحق المبين وتخبر
وَوقفت فى بُرد النبى مذكراً ... باللهِ تُنـــذرُ تارةً وَتُبشِّر
حتى لقد علم الجهول وأخلصت ... نفس المُرَوّى وَاهتدى المتحيّر[1]

= والجوهر يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام » انتهى . وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسيين ، وشتان ما بين التكحل والكحل .

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحترى ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجانى الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغيروا فيها ما شاء لهم الهوى أن يغيروه ، فإنهم لما ذكروا قوله فى وصف احتشاد الناس والجند وخروج الخليفة عليهم فى ذهابه إلى المصلى :

فالخيل تصهل والفوارس تدعى ... والبيض تلمع والأســـنة تزهر
والأرض خاشـعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغـبر
والشمس ماتعـة توقد بالضـحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدر
حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العثـير
وافتن فيك الناظرون فإصبع ... يومى إليك بهـا وعين تنظر =

وقوله من أُخرى فيه :

وعليـك من سيما النبـ ـيّ مخايل شهدت برشدك
تبـدو عليـك إذا اشتملـ ـت ببردة من فوق بردك

وقوله من أخرى فيه أيضاً :

وغدوت فى برد النبي وهديه تخشى لحكم قاصـد وَتُؤمَّل

وقوله فيه أيضاً — وقد ذكر آثاراً أخرى كانت عند الخلفاء سنفرد الكلام عليها : —

يتـولى النبيُّ ما تتـولا هُ وَيرضى من سيرةٍ ما تسير
حزت ميراثهُ بحقٍّ مبـين كل حق سواه إفْكٌ وَزور
فلك السـيف والعمامة والخا تم والبرد والعصـا والسرير

يريد بالعصا : القضيب . وقوله فيه أيضاً :

عليك ثيـاب المصـطفى وَوقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمـامته وسـيفه ورداؤه وسيماه والهدى المشاكل والنجر

وقال من قصيدة يمدح بها المعتزّ بن المتوكل ، ويهجو المستعين بعد خلعه :

ولم يكن المغـترّ بالله إذ سَرى ليُعْجِزَ والمعـتزُّ بالله طالبُـه
رمى بالْقضيب عنوة وهو صاغر وعُرّى من بردِ النبي مناكبه

= يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أنعم الله التى لا تـكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

عز عليهم أن يذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ويذكر معه خليفته وابن عمه فجعلوا صدر هذا البيت (ذكروا بطلعتك الرشـيد فهللوا) ولما وصلوا إلى بيت البردة جعلوه (ووقفت فى برد الخطيب مذكراً) فليتنبه لذلك ، فإن كثيرين من النشء يثقون بكتبهم ، فيقعون فيما حرفوه وبدّلوه .

وذكر ابن خلّكان فى وفياته عن ميمون بن هرون أنه قال : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيي بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال : كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلو أنَّ مشتاقاً تكلّفَ فوق مَا ... فى وُسْعِهِ لسعَى إليك المنبر

فرجعتُ إلى دارى وأتيته ، وقلت له : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل فقال : هاته ! فأنشدته :

ولو ان برد المصطفى إذْ لبسته ... يظن لظن البرد أنك صاحبه

وَقال وَقد أُعطيتهُ وَلبسته ... نعم هذه أعطافه وَمناَ كبه

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت فبعث إلىَّ بسبعة آلاف دينار وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدى ، ولك عَلَىَّ الجراية الكفاية ما دمت حياً اهـ[1].

ومن ذلك قول الأبيوردى من قصيدة فى المقتدى بالله :

إلى المقتدى بالله والمقتدى به ... طوين بناَ طىّ الرّداء الفيافيا

وَلُذنا بِأطراف القوافى وَحسبناَ ... من الفخر أن نهدى إليه القوافيا

وَلم نتكلف نظمهن لأننَا ... وَجدنا المعالى فاخترعناَ المعانيا

أيا وَارث البرد المعظم ربَّه ... بلغناَ المُنى حتى اقتسمناَ التهانيا

---

(١) أورد عبد الرحيم العباسى البيتين والقصة ببعض اختصار فى نوع الغلو من معاهد التنصيص ، ومثله فى فوات الوفيات لابن شاكر .

وقوله من قصيدة فى المستظهر بن المقتدى :

وَعليه من سيماءِ آل محمَّد نُورٌ يجيرُ عَلَى الدجى مرموق
وَالبرد يعلم أن فى أثنائه كرماً يفوق المزن وَهو دفوق
أفضت إليه خلافة نبوية من دونها للمشرفىّ بريق

وقول الأرّجانى من قصيدة فى المسترشد بن المستظهر :

وَرثتَ الذى قد ضمهُ البرد من تقى ومن كرم من قبل أنْ ترث البردا
وولیت من أمر[1] القضيب شبيه ما تولاه من كان المشير به مجدا
وَما هو إلا أمر أمتـه الذى إليك انتهى إذ كنت من بينها فردا

وقوله من أخرى فيه :

يا وارث البرد المجرَّر ذيله فى ليلة المعراج فوْق الفرقد
ومعوّداً يده التخصّر بالذى أمسى به ظهر البراق وقد حدى
سَلَبا هدى عبق النبوة فيهما من كف خير الأنبياء محمد[2]

وقول سبط ابن التعاويذى من قصيدة فى المستضىء بن المستنجد :

إن يدَ المستضىء أسمح بالإعـ ـطاءِ يوم النَّدى من الديَمِ
خليفة الله وَارث البرد والخا تم والسيف مالك الأمم
معيد شمل الإسلام ملتئما وكان لولاه غير ملتئم[3]

---

(١) كذا فى نسخة مخطوطة عتيقة عندنا من ديوانه . والذى فى المطبوعة (ملك)
(٢) عولنا فيها على ما فى النسخة العتيقة لأنها أصح من المطبوعة .
(٣) يشير بذلك إلى زوال الدولة الفاطمية فى زمن المستضىء ، وإعادة الخطبة لبنى العباس بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة .

وقوله من أخرى فيه :

آل النبوة بردها وَقضيبها ... لكم وَمنبرها معاً وَحُسامها

أبناء عم المصطفى الهادى وخير ... عصابة وطىء الثرى أقدامها

وقوله من أخرى فى الناصر بن المستضىء لما بويع بالخلافة :

وَرأينا برد النبى عَلَى منكـ ... ـب طود من الأئمة راسى

مالئاً هديه المواقف من نو ... ر جلال يضىء كالنبراس

وقوله من أخرى :

ورث النبوة منبراً وَخلافة ... وَتقيَّه[1] فعليهِ منها ميسم

فلمنكب ولعاتق ولخنصر ... منهُ ثلاث قدرهن معظم

برد وَسيف لا يفل وَخاتم ... فمجلببٌ ومُقـــلد وَمختم

وقوله من أخرى فيه :

له خاتم المبعوث أحمد خاتم النـ ... ـبوة موروثاً مع السيف والبرد[2]

وَما برحت طير الخلافة حُوَّماً ... عليه كما حام الظماء عَلَى الورد

صـــفة البردة

فى الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلا عن ابن الأثير أن بردة النبى صلى الله عليه وسلم التى كان الخلفاء يلبسونها فى المواكب كانت شملة مخططة . وقيل : كانت كساء أسود مربعاً فيها صغر اه .

---

(١) كذا فى نسختين من ديوانه إحداهما مخطوطة .

(٢) أى له الخاتم موروثاً مع السيف والبرد من النبى المبعوث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « أخرج الإمام أحمد فى الزهد عن عروة ابن الزبير رضى الله عنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمى طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر » اهـ .

اختلافهم فيهـــا

لا خـلاف بين المؤرخين فى كـون البردة العباسية أثراً نبوياً صحيحاً ، ولـكن لمـا كان المخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم بردتين اختلفوا فى التى صارت منهما لبنى العباس . قال الإمام المـاوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما البردة فقد اختلف الناس فيها ، فحكى أبان ابن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لـكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضى الله عنه ، وهى التى يلبسها الخلفاء . وحكى ضمرة ابن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها أهل أيلة أماناً لهم ، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبى أوفى ، وكان عاملا عليهم من قِبَل مروان بن محمد ، فبعث بها إليه وكانت فى خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار » اهـ . وقد حُكى هذا الخلاف فى صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطى وأخبار الدول للقرمانى وحاشـية البغدادى على شرح ابن هشـام على بانت سعاد . وتفصيل هذا الإجمال فى الرأى الأول : أن كعب بن زهير بن أبى سُلمى رضى الله عنه لما بلغه إسلام أخيه بُجَيْر غضب وبعث إليه بأبيات يلومه

فيها على إسلامه ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه . ثم هداه الله إلى الإسلام فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم تائباً مسلماً وأنشده قصيدته بانت سعاد المشهورة ، فلما وصل إلى قوله :

إن الرسولَ لسيف يُستضاءُ به مهنَّد من سيوف الله مسلول

رمى صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه[1] ، فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم ، فأرسل إليه يقول : ما كنت أوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم . قالوا : وهى التى عند الخلفاء العباسيين . وهو قول عز الدين بن الأثير فى كتابيه : الكامل وأسد الغابة ، والخوارزمى فى مفاتيح العلوم ، وابن هشام فى شرح بانت سعاد ، وأبى الفداء سلطان حماة فى تاريخه ، وابن حجر فى الإصابة ، ومؤرخين غيرهم كثيرين .

ولم يذكر ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية غير الرأى الثانى فقال : « قال الحافظ البيهقى : وأما البردة التى عند الخلفاء فقد روينا عن محمد ابن إسحق بن يسار فى قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلثمائة دينار ، يعنى بذلك أول خلفاء بنى العباس ، وهو

---

(١) قال البغدادى فى حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد : « ولهذا تسمت هذه القصيدة قصيدة البردة . وقد سمى الناس قصيدة البوصيرى بقصيدة البردة تشبيهاً بها للتبرك ، والصواب تسميتها بالبرءة بالهمز لبرء ناظمها من الفالج » .

السفاح رحمه الله تعالى . وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف » وهو قول الذهبي أيضاً على ما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ونص عبارته : « وأما الذهبي فقال فى تاريخه : أما البردة التى عند الخلفاء آل عباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحق فى قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ،فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار » . قال السيوطى : فكأن التى اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بنى أمية . وقال القرمانى : وقيل كُفن فيها معاوية . وذكر ياقوت هذه البردة فى معجم البلدان ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء فقال فى كلامه على أيلة : « ويقال إن بها برد النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان وهبه ليُحَنَّة بن رؤبة[1] لما سار إليه إلى تبوك » . وكذلك فعل المقريزى فى خططه والجزيرى فى درر الفرائد المنظمة فى ذكرهما أيلة فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البردة إلى الخلفاء . وخلاصة ما ذكراه أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم الذى وجه به إليهم أماناً لهم ، وأنهم يظهرونه رداء عدنياً ملفوفاً فى الثياب ، وقد أبرز منه مقدار شبر لئلا تدنسه الأيدى .

والخلاصة : أن البردة العباسية إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلثمائة دينار ، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه ، ثم صارت من بعده

(١) يحنة بضم الياء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء وهو صاحب أيلة ، ورؤبة بالباء الموحدة .

للعباسيين . وإما أن تكون البردة الكعبية التى اشتراها معاوية رضي الله عنه ، ثم حفظت عند بنى أمية حتى ورثها منهم العباسيون . وأكثر المؤرخين على هذا الرأى . وقد فصل المسعودى فى مروج الذهب خبر مصير البردة والقضيب إلى بنى العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين ، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر ، وأنهم لحقوه بها ، وقد نزل بوصير فهجموا عليه وقتلوه ، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته ، فأخذوه وسألوه عن أمره ، فقال : أمرنى مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه ، فلا تقتلونى فإنكم والله إن قتلتمونى ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلونى ، هلموا فاتبعونى . ففعلوا فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال : اكشفوا هنا فكشفوا فإذا البرد والقضيب ومِخْصرة[1] قد دفنها مروان لئلا تصل إلى بنى هاشم ، فوجه بها عامر بن إسمعيل إلى عبد الله بن على ، فوجه بها عبد الله إلى أبى العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس .

مصير البردة والقضيب

ذكر ابن الزيات فى الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة ، واستطرد فى الكلام عليه لذكر البردة النبوية فقال : « قال ابن عثمان هو صاحب

(١) فى النسختين الباريسية والبولاقية من مروج الذهب (ومخصر) بغير تاء .

البردة يعنى بردة النبى صلى الله عليه ، وسلم وذلك غير صحيح ، قال المؤلف : وبردة النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم التى دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التى فى أيدى بنى العباس، وهى موجودة عندهم إلى الآن ، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر من الصحابة ممن له بردة من اسمه صاحب البردة . وآثار النبى صلى الله عليه وسلم مثبتة عند العلماء ، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل من الصالحين » اهـ . وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم ، فإن وفاة ابن الزيات كانت سنة ٨١٤ ، وقوله عن البردة : « وهى موجودة عندهم إلى الآن » يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره ، والصحيح أنها فقدت قبل ذلك بقرن ونيف . ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة فى زمنه عند الخلفاء ، وسها عن التنبيه عليه .

وقال المسعودى بعد عبارته المتقدمة فى مصير البردة والقضيب إلى العباسيين ما نصه : « فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس إلى أيام المقتدر ، فيقال : إن البرد كان عليه يوم مقتله ، ولست أدرى أكلّ ذلك باق مع المتقى لله إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة فى نزوله الرَّقة أم قد ضيع ذلك » . وفى صبح الأعشى : « وكان القضيب والبردة المتقدما الذكر عند خلفاء بنى العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سِنجر السلجوقى[1] من المسترشد بالله ثم أعادهما إلى المقتفى عند ولايته سنة خمس

(١) سنجر بن ملكشاه السلجوقى سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر . ولد سنة ٤٧٩ وتوفى سنة ٥٥٢ بمرو ودفن بها وهو بكسر السين وسكون النون وفتح =

وثلاثين وخمسمائة . والذى يظهر أنهما بقيا[١] عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما » .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى عن البردة : « وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ، وأظن أنها فقدت فى فتنة التتار . فإنا لله وإنا إليه راجعون» .

وفى خزانة الأدب للبغدادى عن كعب بن زهير : « فأمنه النبى صلى اللهُ عليه وسلم وأجازه بردته الشريفة التى بيعت بالثمن الجزيل ، حتى بيعت فى أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم[٢] ، وبقيت فى خزائن بنى العباس إلى أن وصل المغول[٣] وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال »

قلت: والذى يؤيد بقاء البردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضىء . وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن ابن الساعى أنه حضر مبايعة الخليفة

= الجيم . وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار فسماه والده بذلك أخذاً من اسم المدينة . والسلجوقى بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ، نسبة لجده الأعلى سلجوق بن دقاق (بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وقد يقال تقاق بالتاء) .

(١) فى الأصل (أنها بقيت) .

(٢) المعروف أن الذى اشترى البردة الكعبية معاوية رضى الله عنه ، والذى اشترى البردة الأيلية أبو العباس السفاح فى قول كما تقدم ، فذكر البغدادى المنصور سهو منه . والله أعلم .

(٣) المغول بضمتين قوم هلاكو ، وقد يقال المغل بلا واو . وهم من القبائل التورانية ويعدهم بعض المؤرخين من التتار ، والأكثرون على أنهما جنسان متقاربان ، وإنما غلب التعبير عنهم بالتتار فى التواريخ العربية لأنهم استخدموا فى غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار فى جيوشهم .

الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبردة النبوية عَلَى كتفه ، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ فى أواخر أيام دولتهم ببغداد ، ولم يكن بعده غير خليفتين المستنصر والمستعصم ، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر . وقد صرح القرمانى فى موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البردة والقضيب ، فذكر أن هلاكو[1] لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمى عَلَى الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته ، فخرج إليه فى جمع من العلماء والأعيان، والبردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده ، فأخذهما منه هلاكو وجعلهما فى طبق من نحاس وأحرقهما وذر رمادهما فى دجلة ، وقال : ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيراً لهما . اهـ . ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه فقُتلوا ، ووُضع الخليفة وولده فى جُوالقين وضربا بالأرازبّ ومداقّ الجص حتى ماتا . وفى هذه الكائنة التى لم ينكب الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون : ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم ، فخرج المستعصم

---

(١) هلاكو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف وقد يقال هولاكو بواو بعد الهاء : أول الملوك الايلخانية بفارس . وهو ابن تولى خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقا آن ملك المغول إلى فارس ففتحها وتولى أمرها ثم استولى على العراق وكان منه ما كان إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما فى التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات . والذى فى المنهل الصافى سنة ٦٦٤ . وقال ابن خلدون سنة ٦٦٢ .

ومعه الفقهاء والأعيان ، فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ، ثم قتل المستعصم شدخاً بالعمُد ووطأ بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين ، وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العبث بها أياماً ، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعين . ويقال إن الذى أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف[1] . واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ ، وألقيت كتب العلم التى كانت بخزائنهم جميعاً فى دجلة ، وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة فى زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح فى كتب الفرس وعلومهم » اهـ كلام ابن خلدون .

(تنبيه) روى القرمانى فى أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بنى العباس إلى أن أحرقها هلاكو مع القضيب كما مر ، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التى كانت عندهم بردة أيلة لا بردة كعب ، وأعقب هذا القول بقوله : « وأظن أنها البردة التى وصلت لسلاطين آل عثمان ، فهى اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله ، واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقاً

---

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة فى كلامه على دولة بنى هلاكو فقال : إن عدد القتلى كان « ألف ألف وثلاثمائة ألف » . والذى يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم فى هذه الوقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة . فإذا ضممنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية الذى أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سنابك الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التى صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب .